(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عهد عليه الله فسنؤتيه أجرا عظيما [10]) شروع في الغرض الأصلي من هذه السورة وهذه الجملة مستأنفة وأكد بحرف التأكيد للاهتمام وصيغة المضارع في قوله (يبايعونك) لاستحضار حالة المبايعة الجليلة لتكون كأنها حاصلة في زمن نزول هذه الآية مع أنها قد انقضت وذلك كقوله تعالى (ويصنع الفلك) .

والحصر المفاد من (إنما) حصر الفعل في مفعوله أي لا يبايعون إلا الله وهو قصر ادعائي بادعاء أن غاية البيعة وغرضها هو النصر لدين الله ورسوله فنزل الغرض منزلة الوسيلة فادعى أنهم بايعوا الله لا الرسول .

وحيث كان الحصر تأكيدا على تأكيد كما قال صاحب المفتاح : " لم أجعل (إن) التي في مفتتح الجملة للتأكيد لحصول التأكيد بغيرها فجعلتها للاهتمام بهذا الخبر ليحصل بذلك غرضان " .

وانتقل من هذا الادعاء إلى تخيل أن الله تعالى يبايعه المبايعون فأثبتت له اليد التي هي من روادف المبايع " بالفتح " على وجه التخييلة مثل إثبات الأظفار للمنية .

وقد هيأت صيغة المبايعة لأن تذكر بعدها الأيدي لأن المبايعة يقارنها وضع المبايع يده في يد المبايع " بالفتح " كما قال كعب بن زهير : .

حتى وضعت يميني لا أنازعه ... في كف ذي يسرات قيله القيل ومما زاد هذا التخييل حسنا ما فيه من المشاكلة بين يد الله وأيديهم كما قال في المفتاح : والمشاكلة من المحسنات البديعية والله منزه عن اليد وسمات المحدثات .

فجملة (يد الله فوق أيديهم) مقررة لمضمون جملة (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) المفيدة أن بيعتهم النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر هي بيعة منهم لله في الواقع فقررته جملة (يد الله فوق أيديهم) وأكدته ولذلك جردت عن حرف العطف .

وجعلت اليد المتخيلة فوق أيديهم : إما لأن إضافتها إلى الله تقتضي تشريفها بالرفعة على أيدي الناس كما وصفت في المعطي بالعليا في قول النبي صلى الله عليه وسلم " اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا هي المعطية واليد السفلى هي الآخذة " وإما لأن المبايعة كانت بأن يمد المبايع كفه أمام المبايع " بالفتح " ويضع هذا المبايع يده على يد المبايع فالوصف بالفوقية من تمام التخييلية . ويشهد لهذا ما في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بايعه الناس كان عمر آخذا بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم أي كان

عمر يضع يد رسول ا صلى ا عليه وسلم في أيدي الناس كيلا يتعب بتحريكها لكثرة المبايعين فدل على أن يد رسول ا صلى ا عليه وسلم كانت توضع على يد المبايعين .

وأياما كان فذكر الفوقية هنا ترشيح للاستعارة وإغراق في التخيل .

والمبايعة أصلها مشتقة من البيع فهي مفاعلة لأن كلا المتعاقدين بائع ونقلت إلى معنى العهد على الطاعة والنصرة قال تعالى (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن با شيئا) الآية وهي هنا بمعنى العهد على النصرة والطاعة .

وهي البيعة التي بايعها المسلمون النبي صلى ا عليه وسلم يوم الحديبية تحت شجرة من السمر وكانوا ألفا وأربعمائة على أكثر الروايات . وقال جابر بن عبد ا : أو أكثر وعنه : أنهم خمس عشرة مائة . وعن عبد ا بن أبي أوفى كانوا ثلاث عشرة مائة . وأول من بايع النبي صلى ا عليه وسلم تحت الشجرة أبو سنان الأسدي .

وتسمى بيعة الرضوان لقول ا تعالى (لقد B المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) .

وكان سبب هذه البيعة أن رسول ا صلى ا عليه وسلم أرسل عثمان بن عفان من الحديبية إلى أهل مكة ليفاوضهم في شأن التخلية بين المسلمين وبين الاعتمار بالبيت فأرجف بأن عثمان قتل فعزم النبي صلى ا عليه وسلم على قتالهم لذلك ودعا من معه إلى البيعة على أن لا يرجعوا حتى يناجزوا القوم فكان جابر بن عبد ا يقول : بايعوه على أن لا يفروا وقال سلمة بن الأكوع وعبد ا بن زيد : بايعناه على الموت ولا خلاف بين هذين لأن عدم الفرار يقتضي الثبات إلى الموت .

A E